

# المشكلات الحقيقية في الشرق الاوسط

بقلم محمد النقاش

المستعصى فهمه على وزيرنا الواسع العلم. فهذا الحياديعني-الوقوف بين المعسكرين الشرقي والغربي موقف الحيايد، فلا تكون لفريق دون فريق اوعلى فريق. لكن هذا الحيايد لا يقف بالتنكر للمعسكرين معاً ، ولا باللامبالاة ازاءهما ... بل هو حيايد ايجابي ، أي ناشط يحاول كسب صداقتهما معاً، والتأمل معها في كل حقل خيّر ، والعمل ما امكن على التوفيق بينهما ، بحيث لا يشب احدهما على الآخر ...

فهذه الدول العربية تعرف أنها لا تستطيع أن تعيش في عزلة ، وأن تستغني عن العالم .. لكنها في الوقت نفسه ، لا تريد أن تخوض الحرب الباردة بين المعسكرين وأن تكون بطريق غير مباشر سبباً في حرب حامية .. وهي قبل كل شيء ، تحرص على أن لا تكون امعات وتوابع تدور في فلك هذا اوداك ، وتفقد بذلك شخصيتها المستقلة ، وتقرير مصيرها بنفسها ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

ولكن كانت لا تدين بالشيوعية ولا ترتضيها نظاماً لها ، فهي في الوقت نفسه ، لا تستطيع أن تدين بالصهيونية والاستعمار ... وهي لا تستطيع أن تدير ظهرها لدول كبرى وقفت الى جانبها في اكثر من قضية ، لمجرد أن هذه الدول تعتنق مبادئ معينة غير مبادئها ، وترتضي نظاماً للحكم غير نظامها - أن تدير ظهرها لها وترتمي مكتوفة اليدين في احضان دول غير شيوعية - لكنها لا تنفك تناهض اهدافها القومية ، وتكافح حركاتها التحررية ، وتمتد يدها حتى بالسلاح وبالتواطؤ مع اعدائها - للقضاء على أنبل واقوى نهضة عرفها العالم العربي عبر تاريخه الحديث .

## موقف لبنان

أما لبنان الذي تنكر لميثاق بغداد صراحة ، فقد كان من نتائج العدوان المثلث على مصر ، ان تغير موقفه ، بدلا من ان يزداد صلابة . وهكذا ، راح يرحب بمشروع الرئيس ايزنهاور ، حتى قبل أن يتدارسه الاميركيون أنفسهم ... وراح يعلن - على لسان رئيسه الأول - أنه ضد الحيايد بين المعسكرين الكبيرين ، وأنه ينضوي تحت لواء الغرب ، ثم وقع على بلاغ لبناني - اميركي بقبول مشروع ايزنهاور ...

وبدهي أن هذا التوقيع ليس نهائياً . اذ لا بد له كي يصبح كذلك ، من موافقة مجلس النواب .

وقد يقف المراقب السياسي-خارج لبنان- من هذا الانقلاب موقف الحائر المستغرب . فكيف يرفض لبنان حلف بغداد ، ويقبل مشروع ايزنهاور ، بعد تصريح علني خطير على لسان رئيسه ، بأنه اختار الغرب ؟ ولماذا يحدث هذا على الأخص ، إثر العدوان على مصر ؟

لو اكتفى لبنان بقبول مشروع ايزنهاور وحده ، لكانت الحججة الظاهرة أن اميركا وقفت موقفاً طيباً في وجه العدوان

الامم المتحدة تعنى بمشكلات الشرق الاوسط .. لا يجتمع رجلا دولة غربيان الا وتكون مشكلات الشرق الاوسط في طليعة ما يبحثان ...

لماذا يتخذ الشرق الاوسط - والشرق العربي على وجه اخص - هذه الاولوية في سياسة العالم ؟ الغرب يقول : إن مشكلة الشرق الاوسط هي تعرضه للخطر الشيوعي ... ويجب حمايته ووقايته بكل الوسائل من هذا الخطر ... أما نحن فنعتقد أن مشكلة العالم العربي هي مشكلة اسرائيل والاستعمار ... وليس للخطر الشيوعي من أثر في ديارنا ، الا بقدر ما تستعدي اسرائيل علينا وتشخذ قابلية الاستعمار ...

## موقف اميركا

وقد لاح لنا في فترة من الفترات ، أن الولايات المتحدة الاميركية ستنحو نحواً مناهاضاً للنحو الذي تنحوه بريطانيا وفرنسا بطلتا الاستعمار الغابر في الشرق ... وأنها ستقلّم أظفار اسرائيل ... لكن ثبت في النهاية ، أنه بالرغم من المبادئ السامية التي تحرك الرئيس ايزنهاور ، فان اميركا مرتبطة الى حد كبير بحليفيتها الغربيين ، ومضطرة الى مسايرتهما في قضيتي السويس والجزائر ، أي مسايرة الاستعمار في ابعث صورته في الجزائر ، وحدث اساليبه في السويس . وثبت لنا أن اميركا مشدودة الى اسرائيل بوثاق من المودة ، لا يمكن فصم عراه ... ولعل هذا الصبر العجيب الذي أظهره ساسة اميركا تجاه انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة وشرم الشيخ ، أي تجاه تصفية عدوان سافر شجبتة كثرة الامم المتحدة - بما في ذلك اميركا - لعل هذا الصبر العجيب ، وهذا الوقت الثمين الذي اهرق مع بن غوريون وغولدا مئير وآبا اييان ، دليل ابلغ دليل ، على عجز اميركا عن التفلت من شبك الصهيونية .

ان اختلاف اميركا مع بريطانيا وفرنسا احياناً ، يبدو كالمخلاف الذي كان يذر قرنه بين بريطانيا وفرنسا نفسيهما بعض الاحيان ، حول مصالح استعمارية ... وما مشروع ايزنهاور - مها يقل لتلويته وتجميله - إلا نسخة لميثاق بغداد ... تقدمها ايد لم تلوث بدماء بور سعيد . والغاية منه اقامة جدار بين الدول العربية والاتحاد السوفياتي وغيره من الدول الشيوعية بحيث نصبح وجهاً لوجه مع الغرب وحده .. وهو وحده يسوي مشكلاتنا بما يتفق ومصالحه .

## الحيايد الايجابي

ولقد تنهت مصر وسوريا والاردن والسعودية الى هذا ، كما تنهت من قبل الى حلف بغداد . وصممت على اتخاذ ما سمي موقف الحيايد الايجابي .

ولقد سئل وزير خارجية لبنان الدكتور شارل مالك غير مرة عن موقف بلاده من الحيايد الايجابي . فكان جوابه دائماً : حددوا لي ماهو الحيايد الايجابي بالضبط ، اجبكم عن السؤال ...

ولسنا نرى كبير صعوبة في تحديد هذا الحيايد الايجابي



على مصر ... ولا بأس بمصادقتها لكن لبنان انحاز نحو الغرب جميعاً -  
وبريطانيا وفرنسا من الغرب طبعاً - فلماذا ؟

هنا يحتاج المراقب الخارجي الى مراقب داخلي ... مراقب يعرف خبايا  
لبنان ومشكلاته الاساسية .. فالواقع أن لبنان حين وقف في وجه ميثاق بغداد .  
واجتمع على ذلك ، لم يكن اجماعه بدوافع واحدة . فالفتنة العربية فيه ، او قل  
الفتنة الانتحادية ، انقسمت قسمين غير متساويين طبعاً ، قسماً أيد ميثاق بغداد  
على اعتبار أنه قد يجر الى الهلاك الحصيب - ولو برعاية بريطانيا - وقسماً  
اكبرناهضه جرياً مع السياسة المصرية التي نادت بعدم التحالف مع الغرب . أما  
الفتنة الانزالية فاجمعت تقريباً على التنديد بالميثاق البغدادي ، ورفضته جملة  
وتفصيلاً .. باعتبار أنه يؤلف خطراً على كيان لبنان واستقلاله . هذا على  
الرغم من عدة اجتماعات عقدها رسل العراق مع فئة الانزاليين وتأكيدات  
بذلت لهم بالاطمئنان على الكيان ... ولا ننس ان فرنسا التي تتبادل العطف مع  
الانزاليين ، كانت مناوئة لميثاق بغداد .

وحدث العدوان ... واسفر عن انتصار مصر وحليفاتها في قلب الجامعة  
العربية . وهو انتصار عزز الجبهة العربية تعزيراً عظيماً . وهذه الجبهة - جبهة  
القاهرة - ذات اتجاهات اتحادية أيضاً ... لذلك رأت الفتنة الانزالية فرصة  
في الشائعات التي روجت بدهاء حول « تشيوع » سوريا ، فقلبت ظهر المجن ،  
متذرة بموقف اميركا .

ان الفتنة الانزالية ، طالما بحثت في الغرب عن متكأ لها . فهي تدرك أن  
لبنان لا يستطيع الاعتدال في الحياة على موارده وقواه وحدها . وهو مهدد من  
الداخل والخارج بموجة الاتحاد العربي . فلا مناص من البحث عن قوة  
خارجية تحفظ له كيانه . وكانت هذه القوة ذات يوم فرنسا ... فلما ضعفت  
فرنسا ، اتجه الانزاليون نحو اميركا . ووجدوا فيها العون المطلوب .

وهكذا ، نرى أن موقف لبنان الحالي ، لم يتقرر في الواقع بالنسبة الى  
الحياد او عدم الحياد . وإنما تقرر في الأساس ، لعزله عن المجموعة العربية ،  
وابقاء شخصيته المستقلة او ما يسمونه طابعه الخاص عليه ، ولو شاب ذلك  
تدخل اجنبي وسلطة اجنبية ... فالفتنة الانزالية تعتبر ان لها ارتباطات مع  
الغرب ، غير ارتباطات السياسة . وهي ترى في هذه الارتباطات ما يكفل لها  
بقاء الطابع الخاص .

### مشكلة غزة والعقبة

كان المعقول أن لا تكون هناك مشكلة لغزة ومياه العقبة . فقد حكمت  
الامم المتحدة بتصفية العدوان على مصر . ويجب أن تعود الحالة كما كانت  
قبل العدوان ، بحيث لا يكون له ثمرة او مكافأة . لكن اصطناع هذه المشكلة  
في غزة ومياه العقبة ، ما هو إلا جزء من مشكلة اسرائيل الاساسية ، أي جزء  
من مشكلة الاستعمار نفسها .

فالاستعمار الغربي - بشكله الجديد ، وبعد أن اضطر الى الاعتراف  
باستقلال كثير من بلدان العرب - يحرص على اضعاف الدول العربية ،  
وتشتيت شملها ما يمكن ، وذلك حرصاً على استمرار ما تبقى له من مصالح  
كبيرة فيها .

وكانت اقامة اسرائيل شوكة في قلب الروض العربي ، جزءاً من هذه  
السياسة ، وجزءاً منها تقوية اسرائيل ، واضعاف الدول العربية على حسابها .  
لذلك ، اصطنعت مشكلة غزة ومياه العقبة ، اولا - لاحتراز انتصار  
متأخر على مصر وعبد الناصر . ثانياً - لإبعاد القوى المصرية - وهي مركز  
الثقل في الدفاع العربي - عن اسرائيل ما يمكن . ثالثاً فك الحصار الاقتصادي

العربي المضروب حول اسرائيل ، عن طريق تحرير ميناء ايلات في خليج  
العقبة .

ومن وراء تحقيق هذه الغايات ، يرمي الفرنسيون والبريطانيون الى بلوغ  
بعض غاياتهم في قناة السويس .

ولا مشاحة في أن على العرب أن يقفوا موقفاً حازماً من هذه القضايا  
جميعاً . فكل تساهل في موضع ، يجر الى تساهل آخر ... وكل تساهل يفقدهم  
ورقة رابحة في حقل آخر .

ولقد احسنت مصر باسراعها في تولي الامور حالاً في غزة . واحسنت  
السعودية في تمسكها بعروبة المياه الاقليمية في خليج العقبة . فمصيرنا مبسوط  
اليوم على بساط البحث . والعناد في حق - ونحن صراحة على حق - هو سبيلنا  
الى النصر ، اي الى البقاء في عزة وحرية .

### امداد الاردن

احتفل الاردن في منتصف الشهر الماضي بالتفاء معاهدته مع بريطانيا ، أي  
بتحرير أرضه من كل جندي اجنبي ، وتحرير سياسته من كل قيد خارجي .  
والواقع أن هذا التحرر ، تقرر مبدئياً يوم طرد الملك حسين الجنرال  
كلوب قائد الجيش الاردني ، وعرب قيادة هذا الجيش المرابط على أطول حدود  
لنا مع اسرائيل . ثم تقرر نهائياً ، يوم عقد اتفاق التضامن العربي في القاهرة ،  
ذلك الاتفاق الذي اخذت بموجبه مصر والسعودية وسوريا على عاتقها امداد  
الاردن بالمساعدة المالية التي كان يتقاضاها سنوياً من بريطانيا .

ونحن إذ نهنئ الاردن بتحرره التام ، ونهنيء انفسنا به ، لا يسعنا إلا أن  
نتمنى للقطر الشقيق أن يسير في الطريق القويم ، وأن يظل متمسكاً في طور البناء  
كما كان متمسكاً في طور الجهاد . ولن يغيب عن بال قادته حديث الرسول  
الاعظم بانتهاء الجهاد الأصغر وبدء الجهاد الأكبر .

المهم أن يفيدوا من تجارب الأخوان ، ويتحلوا بنكران الذات ، ويؤمن  
الجميع أن الاستقلال امانة تصان ويضحى لها ، لا غنيمة تقسم وتهب ...

### ذكرى الاستقلال التونسي

وفي العشرين من هذا الشهر ، احتفلت تونس الشقيقة بذكرى استقلالها  
الاولى ، بحضور وفود من جميع اقطار العرب .

وعلى الرغم مما لا يزال يشوب الاستقلال التونسي ، فلا شك عندنا أن  
القطر المغربي سيمشي قدماً الى أمام . وأنه سيكون - بسيره في حكمة ودون  
استهتار - عوناً كبيراً للجزائر المجاهدة ، هو من جهة ، والمغرب الأقصى  
من جهة ثانية . ومتى تحررت الجزائر استطاعت تونس أن تحتفل احتفالها الاكبر  
وتطمئن الى غد زاهر مأمون .

### مجلس الجامعة

وفي الثامن عشر من آذار الماضي ، انعقد في القاهرة مجلس جامعة الدول  
العربية في دورته السابعة والعشرين ، وعلى جدول اعماله عدة قضايا ، وبذلك تثبت  
الجامعة انها ما زالت قائمة ، على الرغم مما يباعد بين فريق من اعضائها وفريق آخر ،  
في حقل السياسة الخارجية .

ولعلها تثبت وجودها اليوم مؤسسة اقليمية اكثر منها مؤسسة قومية ، كما  
تيميناها وارداها . فلقد اصبحت اشبه ما تكون بمنظمة الامم المتحدة ...  
فالانفصالات الخطيرة في حقول السياسة والاقتصاد والثقافة تعقد بمعزل عنها ...  
ولا يبقى لها الا الشؤون الثانوية .

ومع ذلك ، فالبقاء عليها خير وبركة ، فما من شيء يجمد في الحياة . وما  
دامت جذور الجامعة قوية ، فلا بد أن تتطور نحو اهدافها الحقيقية .

محمد النقاش